يقول الله تعالى:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾

بقلم الدكتور ماجد احمد المومني

تمهيد:

يقصد بالإسراء الرحلة الربانية التي كرم الله بها نبيه محمداً ﷺ، لتبقى معجزة ابدية خالدة الى يوم الدين، والتي بدأت من المسجد الحرام بمكة المكرمة، الى المسجد الأقصى بالقدس الشريف.

ويقصد بالمعراج، ما عقب هذه الرحلة الربانية، من ارتفاع في طباق السموات العلى، حتى الوصول الى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ولا يعرف كنهه أحد، وتعجز عنه الفضائيات، وتتوقف الشبكات العنكبوتية «الانترنت» عن البث، ويتجمد المبهورون بالعولمة والتقنية والمعلوماتية امام عظمة الخالق، ليدركوا ان ما انجزه العلم، سيبقى سديماً في فضاء الكون الذي لا يعلم مداه الا الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (الاسراء: ٨٥).

ولكي نتخيل مدى اتساع علمه تعالى، علينا ان نتدبر قوله سبحانه: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ (الكهف: ١٠٩)، وقد أشار القرآن الكريم الى رحلة خاتم النبيين والمرسلين ﷺ، في سورتين عظيمتين هما: سورة الاسراء وسورة المعراج (النجم)، بعد ان رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر، وأطلعه الله تعالى على ما شاء من علم الأولين والآخرين.

وإن الانسان ليقف مشدوهاً عندما يعلم ان الذرة، تمثل في داخلها نظام المجموعة الشمسية الدوارة في الفلك، ومع انها لا ترى بالعين المجردة، تكمن في حرارة هائلة، عندما فجرها الانسان فأحرقت الأخضر واليابس.

ولكن تخر هذه العقول المفكرة ساجدة

لعظمة الخالق، حينما علمت ان هذه الذرة هباءة تافهة، في خضم مجرة التبان العملاقة، ثم يعجز الادراك عن تصور ان مجرة التبان تحتوي ملايين النجوم، وأنها واحدة من بين ملايين المجرات العملاقة التي تدور في افلاك هذا الكون الواسع، والذي لا يعلم مداه الا الخالق سبحانه وتعالى.

ومثل هذا الانبهار هو فقط في حدود السماء الدنيا، فكيف اذا علمنا ان رحلة الاسراء والمعراج تخطت السماء الدنيا الى السموات السبع العليا، بل انها وصلت الى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى، بل ان الله قد تجلى بنوره لحبيبه محمد ﷺ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، وأراه من آياته الكبرى، ما شاء له ان يرى، قال تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى ❖ فكان قاب قوسين أو أدنى ❖ فأوحى الى عبده ما أوحى ❖ ما كذب الفؤاد ما رأى ❖ أفتمارونه على ما يرى ❖ ولقد رءاه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى ❖ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❖ ما زاغ البصر وما طغى ❖ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم: ٨-١٨).

محمد ﷺ أول رائد فضاء جعله الله رحمة للعالمين:

اذا علمنا ان بعض النجوم لم يصلنا ضوؤها منذ خَلْقها وحتى الآن، وأن بعضها قد لا يصل الينا ضوؤها حتى قيام الساعة، مع علمنا بأن سرعة الضوء تسعين ألف ميل في الثانية، وان عمر اصغر النجوم حجماً يقدره العلماء بملايين السنين!!

اذا علمنا كل ذلك؛ فأي سفينة اخترقت هذا الكون الواسع وحملت أول رائد فضاء الى السموات العلا.. مع نبالة الأهداف وسمو الغايات.. انه رائد الفضاء الذي جعله الله رحمة للعالمين.. ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

سمو المقاصد والاهداف يختلف عن تسابق بعض الأمم، لامتلاك نواصي التجسس وإلحاق الأذى بأمة التوحيد أمة الاسلام!! ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾ (تبارك: ٢٢).

رائد فضاء سيَّره رب العالمين ليكون رحمة، ولينذر من تسوّل له نفسه الحاق الأذى بالمؤمنين، ويحق القول على الكافرين، فكانت رحلته خالدة الى يوم الدين، بينما رحلات التجسس الفضائية، مكوثها في الارض الى حين، وما ينفع الناس يمكث في الارض، وما يضرهم يتطاير كغثاء السيل، قال جلت قدرته: ﴿فأما الزبد فيذهب جفآءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (الرعد: ١٧).

رحلة الاسراء والمعراج، سجلت من الوقائع والأحداث ما نتعايش معه الآن، وبينت من الآيات العظام ما يخبئه الزمان

بمشيئة الله، لسكان هذا الكوكب.. ﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾ (يس: ٧٠).

حكمة الاسراء والمعراج:

١- ارتباط مكانة القدس الشريف والمسجد الأقصى، المبارك من حيث القداسة والتعظيم عند سائر المسلمين، بالمرتبة الثالثة بعد الحرم المكي بمكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة.

وبهذا الارتباط:

أ- تذكير لسائر المسلمين بما حل بالقدس والأقصى أيام الحملات الصليبية، وكيف تم لهم تحريرها بالعودة الى دينهم والاعتصام بحبل الله جميعاً في وجه المعتدين.

ب- تحرير القدس والأقصى، واجب مقدس يقع على عاتق سائر دول المسلمين، وهذا التحرير هو جزء من عقيدتهم وتعاليم شريعتهم.

٢- إمامة الرسول محمد ﷺ بأنبياء الله جميعهم، تعني انتقال الخلافة في هذه الارض الى المسلمين بزعامة نبيهم الكريم ﷺ، وانتهاء عصر خلافة بني اسرائيل في النبوة، باعتبار ان محمداً ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ (الأنعام: ١٦٥).

٣- وان امة العرب والاسلام قد اجتباها الله تعالى واختارها، لتكون خير أمة اخرجت للناس، ولكي تكون شاهداً على الناس يوم الحساب، وقد كرمها الله تعالى بخلافة الارض ومن عليها، وهذا دحض لافتراء ان بني اسرائيل هم شعب الله المختار، وتأكيداً على حتمية زوالهم وهلاكهم، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ (النور: ٥٥).

٤- ان الهيكل المزعوم لن يقوم على انقاض المسجد الأقصى، وان الله قدر الامور فأحسن التقدير، ودبر الكون على خير تدبير، فإفساد الارض من بني اسرائيل لن يطول، وسيدخل المسلمون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة، وسيسوؤا وجوه بني اسرائيل سوء العذاب ويدمروا ما شادوا من الحصون والمستوطنات، قال تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾ (الاسراء: ٧).

٥- هلاك بني اسرائيل بعد تجميعهم في ارض فلسطين من شتى بقاع الارض، امر حتمي جزاء فسادهم وقتلهم الأنبياء، وقد توعدهم الله بهذا الهلاك في قوله تعالى: ﴿وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم

للكافرين حصيراً﴾ (الإسراء: ٨).

وإشارة هذا الهلاك بعد إتمام هجراتهم الى ارض فلسطين، لتحق عليهم كلمة الله، ويحق القول على الكافرين: ﴿وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً﴾ (الإسراء: ١٠٤).

٦- النصر من عند الله، ولا يكون بالتحالف مع أقوى امم الارض تقنية وعولمة، ولكنه حليف أقوى أمم الارض إيماناً واحتساباً لقدرة الله عز وجل: ﴿ان تنصروا الله فلا غالب لكم﴾ (آل عمران: ١٦٠)، وان اول الطريق لهذا النصر، هو الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٧- حتمية زوال الأنظمة العالمية، ومنها النظام العالمي الجديد، وبنفس السرعة والتسارع الذي سقط به الاتحاد السوفياتي، دون ان تسعفها العولمة او التقنية، وسيشهد العقد الأول أو الثاني من الألفية الثالثة، سقوط هذه الأنظمة وهلاك اليهود، ذلك ان الله لا يحب المفسدين، قال تعالى: ﴿ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧)، وقوله جل شأنه: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد﴾ (آل عمران: ١٢).

ولهم من التاريخ عبرة -لو انهم قوم يعقلون- فقد كان من قبلهم الفرس والروم أقوى سلطاناً وأوسع ملكاً، وانهارت الامبراطوريتان امام جحافل الحق والهداية، ولن تنفعهم الجدر الواقية والأسلاك الشائكة، والمستوطنات المحصنة، فسيأتيهم الموت من حيث لا يحتسبوا، قال الله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من ورآء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ (الحشر: ١٤).

وخروجهم من ارض فلسطين، وهلاكهم امر حتمي، كما خرجوا من حصون خيبر وتيماء وسائر الجزيرة العربية، قال تعالى: ﴿هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يآ أولي الأبصار﴾ (الحشر: ٢).

الآيات الكبرى في سورة النجم:

الإسراء والمعراج رحلة ربانية كرم الله بها نبيه محمداً ﷺ، فلا تخضع في وقائعها وأحداثها وحيثياتها الى القوانين الطبيعية، بل ان هذه الرحلة اخترقت قوانين الكون، والتي هي اصلاً من صنع خالق الكون سبحانه وتعالى، فكانت الآيات الكبرى التي كرم الله بها محمداً ﷺ، دون غيره من سائر الأنبياء وسائر خلقه، لتبقى الحادثة بآياتها الكبرى، حادثة فريدة وخاصة بخاتم

الأنبياء والمرسلين ﷺ، ولتبقى خالدة بخلود القرآن الكريم، الذي تكفل الله بحفظه الى يوم الدين، ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

والآيات الكبرى التي صاحبت معراج سيدنا محمد ﷺ الى السموات العلى، تضمنتها سورة النجم في قوله تعالى: ﴿والنجم اذا هوى ❖ ما ضل صاحبكم وما غوى ❖ وما ينطق عن الهوى ❖ ان هو الا وحي يوحى ❖ علمه شديد القوى ❖ ذو مرة فاستوى ❖ وهو بالأفق الأعلى ❖ ثم دنا فتدلى ❖ فكان قاب قوسين أو أدنى ❖ فأوحى الى عبده ما أوحى ❖ ما كذب الفؤاد ما رأى ❖ أفتمارونه على ما يرى ❖ ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى ❖ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❖ ما زاغ البصر وما طغى ❖ لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم: ١-١٨).

ومن هذه الآيات الكبرى ايضاً:

١- اسراء سيدنا محمد ﷺ من مكة المكرمة الى بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، كان بامتطائه «البراق» وهو كائن من خلق الله، يضع خطوة عند اقصى طرفه، وكأنه يمشي بسرعة الضوء، ولعل كلمة «بُراق» يشير الى اشتقاقها من البرق، وقد وصفتها الأحاديث الصحيحة بأنها دابة عجيبة، دون الحصان وأكبر من الحمار، ربطها الرسول ﷺ عند الجدار الغربي من المسجد الأقصى، وهي على العموم ليست من دواب هذه الأرض.

وبعض المفسرين والفقهاء، يرون أنها الدابة التي ستخرج في آخر الزمان، وتكلم الناس ثم تطبع على جبين كل واحد منهم كلمة «مؤمن» ان كان من المؤمنين -حسب تصنيف الله لهم- وكلمة «كافر» للكافرين، وظهورها من العلامات الكبرى لقيام الساعة، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (النمل: ٨٢).

٢- إمامة الرسول ﷺ بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، تدل على انتقال الخلافة في الارض الى المسلمين بزعامة سيدنا محمد ﷺ وأتباعه المؤمنين.

٣- معراج الرسول محمد ﷺ الى السموات العلى، كان بصحبة الوحي - جبريل عليه السلام- وهو من الملائكة المقربين لله تعالى.

٤- وعند وصوله الى سدرة المنتهى، رأى من آيات ربه الكبرى -بعد ان انتهت مهمة جبريل عليه السلام عند السماء السابعة- فتجلت الأنوار الربانية الى بصيرته عليه السلام، والتي لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطرت ببال بشر، وهذه الأنوار لا توصف ولا تسمع ولا ترى بالمقاييس الحسية ﴿ليس كمثله شيء..﴾، وبأنوار التجلي:

أ- رأى ﷺ الجنة بنعيمها المقيم عند سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى ❖ عندها جنة المأوى﴾ (النجم: ١٣-١٥).

ب- سدرة المنتهى شجرة عظيمة تدل على عظمة الخالق، وهي من الكبر في الحجم والاتساع ورفيف الظلال، ما لا تسعه السموات السبع باتساعها والأرض برواسيها وجبالها، ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون: ١٤).

ج- رأى أصنافاً من أصحاب النار -في شقائهم المقيم- منهم صنفان لم يرهما في زمانه: نساء كاسيات عاريات، ورجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر، كما وردت في الأحاديث النبوية الشريفة.

د- استقبال الأنبياء له في كل سماء من السموات السبع ومن هؤلاء: موسى وعيسى وابراهيم، وادريس،ويحيى، ويوسف، وهارون، عليهم جميعاً افضل الصلاة والسلام، استناداً الى حديث طويل رواه انس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ وأخرجه البخاري ومسلم.

هـ- ثم كانت انوار التجلي الرباني لبصيرة سيدنا محمد ﷺ فكان من خالقه سبحانه قاب قوسين أو أدنى.. قال تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى ❖ فكان قاب قوسين أو أدنى ❖ فأوحى الى عبده ما أوحى﴾ (النجم: ٨-١٠).

و- ومما أوحاه سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ فرض الصلوات الخمس على المسلمين في أوقاتها وأحكامها وعدد ركعاتها، كما هي حالها الآن، ومما أوحى اليه ايضاً، ان أطلعه على ما شاء من المغيبات التي اختص بها محمداً ﷺ ومن هذه الغيبيات: صراعنا مع اليهود، وكيف يكون مصيرهم المحتوم بالإبادة جزاء كفرهم وطغيانهم وقتلهم الأنبياء، وكيف سينطق الشجر والحجر، ليخبر المسلمين عن اماكن اختبائهم، ﴿وما هو على الغيب بضنين ❖ وما هو بقول شيطان رجيم ❖ فأين تذهبون﴾ (التكوير: ٢٤-٢٧).

وطبعاً أنكر اليهود هذه الرحلة وهذا المصير إمعاناً في طغيانهم وكفرهم، ﴿يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (البقرة: ٧٥).

٥- أحداث الإسراء والمعراج خالدة الى يوم الدين، وبعض هذه الأحداث نتعايش معها الآن، ومنها صراعنا مع اليهود، وتكالب أمم الأرض على الاسلام والمسلمين، ونحن بانتظار ما تبقى من هذه الأحداث حينما ينطق الشجر والحجر، مخبراً عن اختباء اليهود في أوكارهم وجحورهم ومستوطناتهم مع هلاكهم وتدميرهم، قال عز وجل: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا مع علوا تتبيراً﴾ (الاسراء: ٧)، ﴿ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريباً﴾ (الاسراء: ٥١).

هذا وبالله التوفيق